سعد يأتي على الناس زمان يدعو الرجل ابن عمه وقريبه هلم الى الرخاء والمدينة
خير لهم لو كانوا يعلمون، والذي نفسي بيده لا يخرج احد رغبة عنها الا اخلف
الله فيها خيرا منه ظهر لك ان فيه اشعارا بذم الخروج من المدينة، بل نقل الشيخ
محب الدين الطبري عن قوم انه عام ابدا مطلقا وقال انه ظاهر اللفظ وفي صحيح
مسلم من حديث ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يصبر على لأواء
المدينة وشدتها احد من امتي الا كنت له شفيعا يوم القيامة او شهيدا وفيه
عن سعيد مولى المهري انه جاء الى ابي سعيد الخدري ليالي الحرة فاستشاره في
الجلاء من المدينة وشكى اليه اسعارها وكثرة عياله واخبره انه لا صبر له على جهد
المدينة ولأوائها، فقال ويحك لا امرك بذلك اني سمعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول لا يصبر احد على لأوائها الا كنت له شفيعا او شهيدا يوم القيامة
واللأواء الشدة والجوع واو في قوله الا كنت له شفيعا او شهيدا الاظهر
انها ليست للشك لان هذا الحديث رواه جابر بن عبد الله وسعد بن ابي وقاص
وابن عمر وابو سعيد وابو هريرة واسماء بنت عميس وصفية بنت ابي عبيد
عنه صلى الله عليه وسلم بهذا اللفظ ويبعد اتفاق جميعهم او رواتهم على الشك
وتطابقهم فيه على صيغة واحدة، بل الاظهر انه قاله عليه الصلاة والسلام
وتكون او للتقسيم ويكون شهيدا لبعض اهل المدينة وشفيعا لباقيهم اما
شفيعا للعاصين وشهيدا للمطيعين، واما شهيدا لمن مات في حياته وشفيعا
لمن مات بعده او غير ذلك وهذه خصوصية زائدة على الشفاعة للمذنبين او
للعالمين في القيامة وعلى شهادته على جميع الامم فيكون لتخصيصهم بهذا كله
علو مرتبة وزيادة منزلة وحظوة، واذا قلنا او للشك فان كانت اللفظة
الصحيحة شفيعا فاختصاص اهل المدينة شهيدا اندفع الاعتراض لانها زائدة
على الشفاعة المدخرة لغيرهم، وان كانت اللفظة الصحيحة شفيعا فاختصاص
اهل المدينة بهذا مع ما جاء من عمومها وادخارها لجميع الامة ان هذه شفاعة اخرى
غير العامة وتكون هذه الشفاعة لاهل المدينة بزيادة الدرجات او تخفيف الحساب
او بما شاء الله من ذلك وباكرامهم يوم القيامة بانواع الكرامات، ككونهم على منابر
او في ظل العرش او الاسراع لهم الى الجنة او غير ذلك من خصوص الكرامات كيف لا يتحمل
المشقات، من تحبب ان يتمتع بسيماه اهل الارض والسموات، وينال ما وعد
به من جزيل المثوبات وجسيم الهبات، والفوز بوعد الصادق بشفاعته
وشهادته وبلوغ قصده في المحيا والممات، وكم عسى تكون شدة المدينة ولأوائها

والى

والى متى تستمر مشقتها وبلواها لو تأملت يا هذا لوجدت في البلاد ما هو في الشدة
وشظف العيش مثلها او اشق منها واهلها مقيمون فيها، وربما يوجد فيهم من هو قادر على
الانتقال فلا ينتقل وقوي على الرحلة فلا يرحل ويؤثر وطنه مع امكان الارتحال والقدرة
على الانتقال، على ان المدينة مع شظف العيش بها في غالب الاحيان، قد وسع الله فيها
على بعض السكان حتى من غيرها ممن اهلها ممن استوطنها وحسن فيها حاله، وتنعم
بها باله دون سائر البلدان، فان من الله على المؤمن بمثل ذلك هنالك والا فالصبر للمؤمن اولى
لمن وفقه الله تعالى صبره في اقامته بها ولو احرمن الجوع فيتجرع مرارة غصتها ليجتلي
عروس منصتها ويلقى نثرا من لأوائها ليوقى بذلك من مصائب الدنيا وبلائها
وقد روى البخاري من حديث ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الايمان
ليأرز الى المدينة كما تأرز الحية الى جحرها اي ينقبض وينضم ويلتجئ مع انها اصل
في انتشاره فكل مؤمن له من نفسه سائق اليها في جميع الازمان لحبه في ساكنها صلى الله
وسلم عليه، فاكرم بسكانها ولو قيل في بعضهم ما قيل فقد حظوا بشرف المجاورة لهذا
الحبيب الجليل، وقد ثبت لهم حق الجوار وان عظمت اساءتهم فلا يسلب عنهم اسم الجار
وقد عم عليه الصلاة والسلام في قوله ما زال جبريل يوصيني بالجار ولم يخص جارا دون جار
وكلما احتج به محتج من رمي بعض عوامهم السنية بالابتداع وترك الاتباع فانه اذا ثبت
ذلك في شخص منهم فلا يترك اكرامه، ولا ينقص احترامه، فانه لا يخرج عن حكم الجار ولو جار
ولا يزول عن شرف مساكنته في الدار كيف ما دار بل يرجى ان يختم له بالحسنى، فطمح
لهذا القرب لصوري قرب المعنى، ولله در ابو جابر حيث قال

هنأكم يا اهل طيبة قد حقا … فبالقرب من خير الورى حزتم السبقا
فلا يتحرك ساكن منكم الى … سواها وان جار الزمان ولو شقا
فكم ملك رام الوصول لمثل ما … وصلتم فلم يقدر ولو ملك الخلقا
فبشراكم نلتم عناية ربكم … فها انتم في بحر نعمته غرقا
ترون رسول الله في كل ساعة … ومن يره فهو السعيد به حقا
متى جئتم لا يغلق الباب دونكم … وباب ذوي الاحسان لا يقبل الغلقا
فيسمع شكواكم ويكشف ضركم … ولا يمنع الاحسان حرا ولا رقا
بطيبة مثواكم واكرم مرسل … يلاحظكم فالدهر يجري لكم وفقا
وكم نعمة لله فيها عليكم … فشكرا ونعم الله بالشكر تستبقا
امنتم من الدجال فيها فحولها … ملائكة يحمون من دونها الطرقا
كذاك من الطاعون انتم بمأمن … فوجه الليالي لا يزال لكم طلقا

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)